

الفصل الثاني عشر:

المحاذرة

عن المعارك

والخطط

والمهمات الكبرى

في فجر اليوم التالي، وقبل أن تطلع الشمس على المدينة، ارتدت جوين معطفاً فوق ثيابها اتقاء للبرد.. وهي تستمع لبي ناريا التي كانت تقول لها بصوت خفيض "طمئني الملكة الأم بسلامتي.. لكن حذار من أن تلفتي الأنظار أو تثيري الشبهات.. الكل يعلم الآن بقدومي إلى المدينة، وأي لحظة تردد تبدر منك ستثير شبهة قوية تجاهك وتطيح بنا جميعاً.."

قالت جوين مبتسمة "لا تخشي شيئاً يا مولاتي.. سأكون حذرة.."

قالت والدة جوين وهي تمسك يدي ابنتها بقلق "هل ستكونين بخير؟ ألن يتعرض أحد الجنود لك بأذى؟"

قالت جوين وهي تربت على كتف والدتها "لا تخشي شيئاً يا أُمي.. سأعود لك بعد أن أنهي مهمتي هناك.. وسأكون بخير فلا تقلقي.."

قالت الأم وهي تنتفض "لا أريد أن يتكرر ما حدث مع أباك.. بسبب الجنود فقدناه.. والآن.. لا أريد أن أفقدك أنت أيضاً.."

ضغطت جوين على يدي أمها قائلة "لا تخافي.. لن يحدث هذا مجدداً.. أرجوك ألا تخافي، ولا تثيري زعر إخوتي فهم مذعورون برؤية الثوار وليسوا بحاجة للمزيد.."

صمتت الأم بقلق، فيما خرجت جوين بصمت متجهة إلى القصر.. سارت في الطرقات الضيقة التي تميز ذلك الحي متوسط الحال، مارة بالمنازل المتفاوتة الأشكال والتي لم ينشط أهلها ويبدأوا نهارهم بعد.. كانت تعلم أن العديد من الثوار متمركزين فوق المنازل في الحي يراقبون من يدخل ويخرج، وأن العديد منهم قد رأوها بالفعل.. ضمت معطفها إلى جسدها اتقاء للبرد المتزايد وحثت السير باتجاه الشارع الرئيسي لتستقل عربة تأخذها إلى القصر..

بعد فترة وجيزة، كانت جوين تحمل طعام الملكة متجهة إلى جناحها الخاص وهي تشعر أن القصر كله يراقبها.. كل نظرة تلقى عليها من الجنود الذين تمر بهم تشعرها أنها نظرات اتهام، وكل لفظة من إحدى الوصيفات تشعرها أنها محط مراقبة الآخرين.. زفرت جوين محاولة البقاء ثابتة النفس حتى وصلت إلى الجناح، فطرقت بابه بخفة ثم دلفت بصمت.. وضعت الطعام على طاولة وسط الجناح وتقدمت من السرير هامسة "مولاتي.. لقد عدت إليك.."

فتحت الملكة الأم عينيها دفعة واحدة ونظرت إليها.. كان شحوب الملكة متزايداً وعيناها غائرتان.. وخرج صوتها ضعيفاً شحيحاً وهي تقول "جوين؟ هل عدت؟"

أمسكت جوين يدها هامسة "أجل يا مولاتي.. عدت بأخبار رائعة.. لكنك وعدتني بالاعتناء بنفسك خلال غيابي، فما الذي حدث لك؟"

تمسكت بها الملكة بيدين ضعيفتين وهي تقول "بي ناريا.. أين هي؟ كيف هي؟"

قالت جوين مربتة على يد الملكة "هي بخير، لا تقلقي.. الثوار أنقذوها من الجنود وعاملوها معاملة حسنة.. هي الآن هنا، في يناسا.."

اتسعت عينا الملكة هامسة "هنا؟"

ابتسمت جوين مجيبة "أجل.. ستأتي لرؤيتك قريباً.. لذلك عليك استرداد صحتك لكي لا تؤنبني إن رأتك بهذه الحال.."

أراحت الملكة رأسها بتعب على الوسائد الوثيرة مغممة "كيف يمكنني رؤيتها؟ إن حاولت القدوم إلى القصر ستقع في قبضة مانيم.. وسيقتلها إذ ذاك ولاشك.."

فقالت جوين "لذلك طلبت مني أن أحضر لها الخارطة التي تحوي الطريق إلى المدخل السري للقصر.. عبره يمكنها أن تأتي إليك وتخرج دون أن يكشفها الجنود أو يعثر عليها مانيم.. سأحاول إحضارها لرؤيتك الليلة.."

اغمضت الملكة عينيها متنهدة، ثم غمغمت "لست أدري إن كنت سأعيش حتى الليلة.."

هتفت جوين "لا تقولي هذا يا مولاتي.. ستكونين بخير.. بعض الطعام سينعش قواك.. لولا أمر الملك الظالم لأحضرت لك طبيب القصر ليعالجك ويعيد إليك صحتك السابقة.."

سألته الملكة بصوت ضعيف "هل تكرهني بي ناريا الآن؟ أظن أنها كذلك بعد أن اكتشفت كل ما فعلته ووالدها الملك بها، وبعد أن ألقيت بها في براثن أعدائها.."

قالت جوين هازة رأسها "كلا يا مولاتي.. مولاتي بي ناريا لا تكرهك بل هي مشتاقة لرؤيتك.. لقد سألتني مراراً عنك وغضبت لما علمت بمعاملة الملك السيئة لك.. سترينها الليلة وتطمئني عليها فابذلي جهداً لاستعادة صحتك.. والآن انهضي وتناولي القليل من الطعام.. وبعدها دليني على خرائط الممرات السرية لأخذها لمولاتي بي ناريا.."

جلست الملكة بصعوبة بمساعدة جوين.. وتنهدت مرة أخرى وهي تفكر ببني ناريا.. إن التعب والمرض الذي تشعر به لا يوحى لها بأنها على ما يرام.. تشعر أن نهايتها قريبة، لكنها تتمنى لو ترى بي ناريا للمرة الأخيرة.. لو تضمها، وتعتذر منها للمرة الأخيرة أيضاً..

بعد أن أنهت جوين عملها في جناح الملكة الأم، خرجت من الجناح وقد لفّت نسخة من الخارطة التي تدلّ على مدخل الممرات السرية بين طيات ملابسها، ومعها القلادة ذات البلورة الوردية.. وسارت حاملة ما بقي من طعام الملكة إلى الملاحق الخاصة بالقصر حيث يتم إعداد الطعام وإنجاز بقايا المهام الخاصة بالقصر كغسل الملابس الفخمة والفرش المطرزة الغالية، وتربية الحيوانات اللازمة لإعداد طعام المئات الذين يسكنون القصر من الملك حتى أصغر خادم فيه، والعناية بالعربات الملكية وبمجموعة التوكور ذات السلالات الأصيلة التي لا يمتلك أحد في الكوكب مثلاً والمخصصة للملك وحاشيته..

كانت جوين تسير باتجاه مطبخ القصر وطرقات قلبها تكاد تبدو واضحة على صدرها لقوتها، لكنها حاولت ألا تظهر شيئاً وهي تبتسم لمن تمر به وتتقبل تعليقاتهم حول غيابها الذي طال.. وتنتهي ما بقي لها من أعمال في الملاحق بصمت.. وكلما ظهر أحد الجنود هناك تشعر بقلبها يغوص في أعماقها وكأنه قادم للقبض عليها هي

بالذات..

بعد فترة رأت أحد الجنود يقترب منها منادياً اسمها، فارتجفت بشيء من الوضوح وهي تكاد تسقط ما في يدها، لكنها حاولت تمالك نفسها وهي تقترب منه متسائلة، فقال لها "هناك صبي صغير يسأل عنك بالباح.. يقول إن والدتك مريضة وعليك العودة بسرعة للمنزل.."

فشكرته وهي تخفي تنهيدة ارتياح كادت تفلت منها، ثم أسرعته إلى المرأة المسؤولة عن الوصيفات تبلغها بضرورة عودتها لمنزلها بسرعة.. كان هذا بتخطيط من بي ناريا التي رأت ألا تبقى جوين في القصر حتى انتهاء عملها الذي يطول لوقت متأخر مساءً.. مما سيؤخر خططهم أكثر مما تحتمل..

بعد أن أخذت جوين الموافقة من المسؤولة، ارتدت معطفها وهي تتأكد من إخفاء الورقة والقلادة جيداً بين ملابسها، وأسهرت إلى بوابة القصر الخلفية التي لا يستخدم الخدم غيرها في الدخول للقصر.. وهناك، رأت أخاها الذي يصغرها يقف بانتظارها بقلة صبر، وما إن رآها تقترب منه حتى صاح "لقد تأخرت كثيراً.. والدتي مريضة جداً ويجب أن نعود فوراً.."

أحنت جوين رأسها للجنود عند البوابة وهي تجذب الصبي بعيداً.. وما إن غادرا حتي همس الصبي "ما رأيك؟ هل كان أدائي مقنعاً؟"

ابتسمت جوين وهي تربت على رأسه مغممة "أنت رائع.."

وأسهرت عائدة إلى منزلها وهي تشعر أنها أفلتت من ورطة كادت تهلكها.. فلم تكن لتقدر على الحفاظ على ثبات أعصابها أكثر مما فعلت في القصر.. ولو بدر منها أي تصرف مشكوك فيه، فمع كل التوجس والريبة الذي يخيم على جنود القصر سيلاحظها الجميع فوراً وتقع في أيديهم لتقع بي ناريا بعدها بالتبعية..

سلمت بي ناريا خارطة مدخل الممرات السرية إلى رئيس الثوار قائلة "هذا هو المدخل.. ومتى ما صرنا في الممرات السرية سأسلمكم باقي الخرائط.. حتى لا يكون لديك شك في نيتي التعاون معكم.."

تأمل الرئيس الورقة وهو يغمغم "لم أشك بذلك مطلقاً.. فمصالحنا متداخلة، وحتى نقضي على مانيم سنظل بحاجة لمساندة بعضنا البعض.."

ثم رفع بصره إلى جوين متسائلاً "ما الأحوال في القصر؟ هل تقصيت الأنباء من العاملين هناك؟"

قالت جوين وهي تفرك يديها بتوتر "لم أستطع إثارة الشبهات حولي بهذه الأسئلة.. لكنني لاحظت استنفاراً عاماً في القصر والجنود عند البوابة متشددون كثيراً وقد فتشوني عند الدخول.. لكن لحسن حظي لم يفكر أحد بتفتيشي عند الخروج.. يبدو أن مانيم يتوقع أن تدسّ مولاتي من يحاول قتله.."

عاد الرئيس يتأمل الورقة بين يديه وجوين تلخص له الموقف في القصر، عدد الجنود عند البوابات، وتوزيع الحراسة في أنحاء القصر والأجنحة الملكية، وعدد الجنود المسؤولين عن حراسة مانيم وقاعة العرش.. لم تغفل

عن أي نقطة ولو كانت تافهة كما أوصاها الرئيس سابقاً، ولما انتهت ابتسم الرئيس وهو يضع علامات محدودة على الورقة قائلاً "شكراً يا جوين.. لقد أسديت لنا خدمة لن ننساها.."

ثم التفت لبي ناريا مضيفاً "سننطلق الليلة.. لذلك كوني على أهبة الاستعداد.."

كانت هذه إشارة لها للمغادرة ليتسنى له التخطيط مع رجاله كما هي العادة، فغادت الغرفة التي اتخذوها كموقع للاجتماعات في منزل جوين والأخيرة تتبعها هامسة "سأعود معكم الليلة يا مولاتي.. أنا قلقة على مولاتي الملكة كثيراً، وأريد الاطمئنان عليها وسط الأحداث الخطيرة التي ستحدث في القصر.."

قالت بي ناريا "لن ترضى أمك بهذا أبداً.. لقد رجتني ألا أحاول اصطحابك معي إلى القصر.."

هزت جوين رأسها قائلة "بل يجب أن أفعل.. مولاتي الملكة منزلتها كأمي تماماً، ولا أستطيع التخلي عنها في هذه الأزمة خاصة مع حالتها الصحية السيئة.."

لم تجادلها بي ناريا وهي تسأل بصوت خافت "هل قمت بما طلبته منك؟"

أجابت جوين وهي تتلفت حولها "أجل يا مولاتي.. لقد استطعت الحصول على ثقة بعض الجنود الذين شعرت أنهم لا يزالون مواليين لك ورافضين لحكم الملك.. وسأجمعك بهم في القصر عندما نصل إليه.."

رمقتها بي ناريا بتشك، لكن قبل أن تفتح فمها سارعت جوين لتقول "لا تقلقي.. لم أخبرهم أنك قادمة للقصر، فلم يخرج هذا السر من فمي أمام أحد إلا الملكة الأم.. فقط جيسست نبضهم دون تفصيل لمقابلتك لهم.."

صمتت بي ناريا دون تعليق وهي تتركها وتجلس قرب نافذة المنزل تتأمل الشمس التي اتخذت طريقها نحو الغروب ويدها تتأكد من وجود القلادة ذات البلورة الوردية حول عنقها مخفية بعناية تحت ملابسها.. الليلة سيتحدد كل شيء.. الليلة هي التي انتظرتها منذ أسابيع طويلة، وكم هي في لهفة لانتها هذا كله وعودتها لموقعها الصحيح في ذاك القصر..

بعد حلول الظلام التام تلك الليلة، كان جميع الثوار قد تجهزوا واستعدوا بأسلحتهم موزعين لفرقهم المحددة من قبل الرئيس.. ومعهم استعداد جمع غفير من رجال يناساً وقد شدوا العزم على الانضمام للثورة والإطاحة بالظالم لتحقيق العدل في البلاد..

وفي منزل جوين، كان الرئيس يقف وسط قادة فرقته وهو يتأكد من سير خطته بالتواقيت المحددة بدقة سلفاً.. وقال لرجاله "اهتموا بأدق التفاصيل في مهماتكم ولا تغفلوا أي شيء.. ولا تنسوا التزود بذخيرة كاملة من الحمولة التي أوصلاها هارولان كما تقتضي مهماتكم.. التخطيط هو عدو النجاح، لذلك كونوا واثقين من مهاراتكم ومن رجالكم ولا تتراجعوا مهما حدث، إلا لو كان تراجعكم هو الحل الوحيد للحفاظ على الرجال.. وليكن في علمكم أن كل ما تفعلونه له أهمية قصوى في سبيل نجاحنا.. وفي إيصال العدل لهيماانيا.."

وأشار لهم لينطلقوا في مهامهم، فسارع الرجال لتنفيذ أمره والتصميم يلتصق في الأعين.. فأخيراً بعد صبر طال سينالون ثمار عملهم وتضحياتهم التي قدموها لسنين طوال في هيماانيا..

التفت الرئيس إلى هارولان الذي تأخر عنهم قائلاً "أنجز ما طلبته منك يا هارولان ولا تخيب ظني فيك.."

قال هارولان بصوت خافت "هل ستأخذ بي ناريا معك إلى القصر؟"

ابتسم الرئيس مجيباً "أجل.. لكن لا تقلق، لن أعرضها لأي خطر إلا لو أقحمت هي نفسها فيه.. سأحميها فانطلق في مهمتك ولا تشغل بالك بها.."

صمت هارولان وهو يحمل سلاحه ويخرج من الغرفة التي كانوا فيها.. ألقى نظرة سريعة على بي ناريا لم تفهم معناها قبل أن يغادر المنزل بصمت ويده تقبض على الورقة التي أخفاها في جيبه، وكأنه يتأكد أنها لن تختفي قبل أن يحقق هدفه منها.. بعد قليل خرج الرئيس من الغرفة بدوره برفقة رجلين من أخلص رجاله وقال لبي ناريا "سننطلق الآن.. أرجو أن تتبعني تعليماتي ولا تشذّي عن الفريق فهذا أضمن لسلامتك.."

لم تعقب بي ناريا بكلمة وهي تتبعه خارجين من المنزل، وأسرعت جوين خلفهم تاركة أمها وإخوتها ينهشهم القلق عليها.. لكن هذا لم يكسر عزمها وهي تسير معهم نحو القصر والمزيد من الثوار يتدافعون من المنازل القريبة لينضموا إليهم معلنين بدء المرحلة الأخيرة والحاسمة من الثورة..

في تلك الليلة، بعد أن توغل الوقت وعمّ الهدوء الشوارع بعد أن أوى الجميع لمنازلهم، أخذ الجندي المكلف بحراسة مستودعات المركبات الخاصة بالجنود يذرع المكان متلفتاً حوله بين فينة وأخرى، ثم التفت إلى جندي آخر يجلس قريباً يتناول لقيمات يسد بها جوعه وقال "لم لا يكتفي القائد العام بأجهزة المراقبة؟ هل لابد أن نتواجد هنا كل ليلة لقضاء وقت ممل ومتعب مع الهدوء الذي يعم المدينة؟"

قال الآخر دون أن يتوقف عن الأكل "إن أردت الشكوى فتوجه بها إلى القائد.. لا تصدّع رأسي بها وأنا مثلك لا أملك من الأمر شيئاً.."

عاد الأول لأداء مهمته وهو يتململ من التعب، عندما سمع صوتاً خافتاً مع نور شق السماء جهة الشرق.. فالتفت مع رفيقه إلى موقع النور وهو يضيّق عينيه باستغراب.. سمع الأصوات الخافتة تتابع دالة على بعد موقعها مما جعله يتساءل "ما الأمر الذي يجري هناك؟ هل تعتقد أن خطراً ما يتهددنا مع كل التحذيرات التي كالهنا لنا القائد؟"

غمغم الجندي الثاني وهو يقف بدوره "لست أدري.. سيأتي الخبر قريباً.."

سمعا في تلك اللحظة دويّاً مزعجاً أجفلا له من جانب آخر من المدينة مع نور مبهر.. تبعه طلقات رصاص متتابعة قبل أن يسمعا دويّاً آخر صمّ أذنيهما.. فرفع الجندي سلاحه قائلاً بتوتر "إنه هجوم.. لا تقل لي إنه في اتجاه مخزن الأسلحة القريب من مبنى الجنود.."

سمعا في تلك اللحظة صوت خطوات خلفهما فاستدارا بتحفظ ودهشة شاهرين سلاحيهما والأول يهتف "من هناك؟"

جاوبهما الصمت التام والإنارة الضعيفة لا تسمح لهما برؤية مسافة بعيدة، فاقترب الجندي من موقع الصوت وهو يصيح "أظهر نفسك.. ليس من مصلحتك الاختباء.."

سمع الخطوات في موقع آخر، فركض تجاهها وهو يصيح برفيقه "ابق قرب البوابة ولا تتحرك.. سأنتهي المسألة بسرعة وأعود.."

انطلق الجندي خلف الصوت تاركاً الآخر يقف بتوتر متحفظاً لأي حركة تبدر من تلك الجهة، ولم ينتبه للخطوات التي تقترب منه بخفة حتى فوجيء بضربتين قويتين على رأسه أسقطته فاقد الوعي.. أسرع الرجل الذي ضرب الجندي بسحبه بعيداً عن المستودعات التي تحوي المركبات، وجرده من سلاحه ومن ثيابه ليسارع بارتدائها.. ثم سمع خطوات من خلفه، فالتفت ليرى رجلاً آخر من الثوار يقترب حاملاً الجندي الذي كان يلاحقه، فوضعه أرضاً وتناول سلاحه مغمماً "ما أهمية أن نرتدي ملابسهما؟ سننجز مهمتنا هنا ونرحل سريعاً.."

قال الأول "سنأخذ مركبتهما الواقعة خارج المستودع ونحاول الاندماج بالجنود.. بهذا يمكننا أن ننقل أخبارهم بدقة أكبر إلى الرئيس، ولا تنس أجهزة الإرسال المثبتة في ملابسهم"

وافقه الثاني وهو يفعل المثل، وبعد أن أنهيا عملهما، فتحا بوابة المستودع القريب منهما، ومن حقيبة يحملها كل منهما، استخرجا بضعة مكعبات سوداء صغيرة قاما بتوزيعها كما خطط لهما بسرعة، ثم تراجعا خارجين والأول يقول "فلننه عملنا في المستودعات الأخرى ونغادر قبل قدوم أحد.."

مرت نصف ساعة انهمك فيها الرجلان بإتمام عملهما في المستودعات الخمس الأخرى، ثم عادا أدراجهما إلى مركبة الجنود الواقعة قرب المستودع الأول فركباها وانطلقا مسرعين ليغيبهما الظلام.. وبعد لحظات من ابتعادهما، توهج نور قوي في المستودعات الست وانفجارات متتالية تنبع من قلبها مكونة دويّاً قوياً صمّ المنطقة كلها.. وسرعان ما اشتعلت المستودعات بالنار وهي تتهاوى لتقضي على ما بقي من المركبات سليماً بعد الانفجار..

وعلى الصوت المدوي، نهض الجنديين منتفضين، قبل أن يصرخ الأول وهو يهب واقفاً "الثوار الأوغاد.. لقد دمروا كل شيء.. يجب أن أبلغ القائد العام"

قال الثاني بشيء من السخرية "هل نظرت إلى نفسك؟"

انتبه الجندي الأول أنه مجرد من ملابسه ويقف بملابسه الداخلية فقط، فيما أضاف الثاني "أراهن أنهم دمروا مركبتنا أيضاً.. لكن هذا الاحتفال كله لابد قد وصل إلى سمع القائد، وسنجدّه فوق رؤوسنا بعد قليل.."

ظل الإثنين يراقبان الاحتراق والنار تلقى ظلالها الحمراء على وجهيهما اللذين يعبران عن أقصى علامات الغيظ والتعاسة..

هبَّ القائد العام للجنود من كرسيه صارخاً في جهاز الاتصال "ماذا قلت؟ متى حدث كل هذا؟"

جاوبه قائد إحدى الفرق عبر الجهاز قائلاً بتوتر "سيدي لقد حدث كل شيء خلال نصف ساعة فقط.. ابتداءً بتفجير مهبط طائرات قواتنا، تلاه انفجارات استهدفت مخازن الذخيرة والذي أصاب جزءاً من مبنى الجنود

القريب.. والآن مستودعات المركبات الست كلها تحترق وقد دمرت المركبات فيها تماماً..”

صاح القائد “من هم الفاعلون؟ ألم يبلغك جنودك الأغبياء بهويتهم؟”

قال قائد الفرقة بسرعة “لقد فوجئ الجنود بالهجوم المتتابع وقد بدا أن المهاجمين يعرفون المنطقة جيداً.. لكن أحد الجنود الذي كان قريباً من مخازن الذخيرة يجزم أن الفاعل كان هيمانياً.. يبدو أنه التحم معه في قتال قصير قبل أن يفلح الهيماني بالإطاحة به وإفقاذه لوعيه..”

صرخ القائد بغضب وهو يضرب الطاولة بيده “لقد أنذرتكم أيها الأغبياء.. أنذرتكم من احتمال حدوث هجوم من الثوار الهيمانين.. فأنتم تعلمون أنهم في المدينة لكنكم تقاعستم في التفتيش عنهم قبل أن يفعلوا فعلتهم..”
أجاب قائد الفرقة وتوتره يزداد “سيدي لقد ذابوا في المدينة تماماً.. لا يمكن أن يحدث هذا لو لم يكن لهم معاونين من سكان المدينة.. ولقد سخرنا قواتنا جميعها للبحث عنهم لكن لم نتوقع حدوث هجوم علينا بهذه السرعة..”

سمع القائد صوت جدال يدور في الجهة الأخرى من الاتصال وقائد الفرقة يسب بعصبية، ثم قال للقائد “سيدي.. لقد حدث هجوم جديد.. استهدف هذه المرة البوابة الشمالية للمدينة.. هناك فرقة كاملة من الثوار مشتبكين مع جنودنا قرب البوابة في قتال محدود..”

صاح القائد “أرسل فرقتان من جنودنا لدعمهم والإطاحة بهؤلاء الأوغاد.. أنا قادم حالاً..”

وأنهاى الاتصال بعنف ليسارع بالخروج من مكتبه الواقع في جانب من القصر وهو يلقي بأوامره على أحد نائبيه لتجهيز مركبته الخاصة بالإضافة لفرقتين من الجنود ليرافقوه.. وانطلق في طريقه إلى جناح الملك الواقع في الجانب الآخر من القصر.. وهناك، أدى الجندي المسؤول عن حراسة باب الجناح التحية والقائد يقول له “استأذن لي عند الملك.. هناك أمر مهم يجب أن أبلغه به في هذه الساعة مهما كان غضبه عليّ شديداً..”
أسرع الجندي لتنفيذ أمره فيما وقف القائد يزفر وهو يذرع المر قرب الباب بتوتر وغضب شديدين.. لقد حدث ما كانوا يخشونه، وتبعة كل ما حدث ستقع عليه هو فقط..

في مركز البث البعيد شيئاً ما عن القصر، والمكوّن من مبنيين أحدهما أكبر من الآخر، وتتوسطهما ساحة متوسطة الحجم يرتكز فيها برج البث الذي يحمل الإرسال من المحطة لبيته إلى الأقاليم كلها على امتداد الكوكب، والمحاط بسور مكهرب لإبعاده عن الأيدي العابثة.. قال مدير المحطة وهو يخاطب أحد معاونيه عبر جهاز الإرسال “أنت متأكد من هذا الخبر؟ ما هي مصادرك؟”

قال معاون وأصوات إطلاق نار وقتال تجعل فهم ما يقوله صعباً “لقد شهدت هذا بنفسي ولست أعتمد على رواية أحد.. المعارك حامية في الحي الصناعي والسكان قد التزموا منازلهم.. الجنود يتكدسون في كافة الطرقات محاولين القضاء على الثورة دون فائدة..”

تساءل المدير "لقد أكد لي القائد العام للجند عندما حادثته أنها مجرد مناقشات محدودة سببت مجموعة من الخارجين على القانون.."

هتف المعاون "كذب.. إنه يحاول خداعك بكل تأكيد.. الوضع منفجر هنا، ولا يمكن تسمية ما أراه بمناقشات محدودة.."

ثم همس بصوت عالٍ، إن جاز التعبير، محاولاً تجاوز الإزعاج قربه "إنهم الهيمانبيون.. لست أدري كيف تمكنوا من تجاوز التحصينات الأمنية حول المدينة، لكنني تأكدت أنهم هم من يقود الثورة يساندهم العديد من أهل يناساً"

صمت المدير بدهشة والمعاون يضيف "ما العمل الآن؟ هل تريد مني تسجيل ما يحدث؟" قال المدير بحيرة "لكن يمنع علينا أن نعرض شيئاً لم يوافق القصر على عرضه أو يسيء للملك بأي حال من الأحوال.."

قال المعاون بحماسة "لكن هذه فرصة لن تتكرر.. سواء فشلت الثورة أم نجحت فهذا تسجيل لحدوثها وسنندم على تضييع الفرصة بذلك.. أنت تعلم أننا الوحيدون المصرح لنا بالتسجيل في يناساً، ووكالات الأنباء الأخرى لا يسمح لها بدخول المدينة وتسجيل أي أمر فيها بدون دعوة من القصر.."

ظل المدير يفكر والحيرة تكتنفه، عندما أضاف المعاون "لقد التقيت ببعض الثوار بالفعل.. عندما علموا بانتمائي لمركز البث رحبوا بي واقتادوني لرؤية القتال عن قرب، مع ضمانهم لحمايتي.. إنهم راغبون بشدة في إعلان ما يجري للعالم كله وسط التعقيم الذي يحصل من القصر وقوات الملك.."

فقال المدير بحسم "حسناً.. سجل كل ما تقدر عليه.. ولا تنسى إجراء أحاديث مع قادة الثوار عندك.. وسأرسل من يتقصي الأمور في القصر.. حتى لو مُنعنا من بث هذا، فلن أفوت فرصة تسجيل هذه الأحداث.. فقط أتمنى ألا نحاسب على هذا.."

وأنهى الاتصال ليغادر غرفته المنعزلة في المبنى إلى قاعة البث الرئيسية قائلاً لرجاله "استعدوا يا شباب.. هناك تسجيلات مهمة سيتم بثها من أرجاء المدينة.. وأريد منكم توثيقها وفرزها بعناية.."

انتبه إلى الصمت الشامل في القاعة، والرجال، ممن بقي ساهراً تلك الليلة في عمله، متجمدون في أماكنهم وعيونهم يعلوها قلق وتوتر.. ورأى أحد معاونيه ينظر إليه بعينين متسعيتين ثم يحول بصره لشخص ما جواره.. وقبل أن يلتفت المدير وجد فوهة سلاح تلتصق برأسه وصوت واثق يقول قربه "هذا ما جئنا لكم بشأنه بالذات" نظر المدير إلى صاحب الصوت بدهشة ليرى هارولان قربه رافعاً سلاحه بوجهه، وخلفه عدد من الهيمانبيين شاهرين أسلحتهم في وجوه الجميع، وانتبه في تلك اللحظة لوجود عدد منهم وسط القاعة محيطين برجاله بتهديد.. فتساءل بدهشة "ما الأمر؟ من أنتم؟"

قال هارولان وهو يدفعه ليجلس في جانب القاعة "نحن ثوار هيمانبيا.. لقد أتينا إليك في مهمة محدودة.. لن يصاب أحد هنا أو نلمس أجهزتك بتخريب لو أطعنا بدون اعتراض.."

ثم انحنى تجاهه وهو يضيف بصرامة "ولو تم إبلاغ مانيم بأي حرف مما يحدث هنا فنهايتك ستكون على

يدي..”

شحب وجه المدير وهو يتلفت في وجوه الثوار بقلق، ملاحظاً الذعر الذي انتاب رجاله وسط تهديد السلاح..

كانت المدينة تضج بالدويّ الذي حطم سكونها منطلقاً من أجزائها المختلفة، والجنود يتدافعون نحو الجهات التي اندلع عندها القتال محاولين إنهاءه بأسرع ما يمكن اتباعاً لتعليمات القائد العام.. تلك الليلة، حصل استنفار عام في القصر ومانيم الحانق يقضي ليلته في قاعة العرش يراقب الأحداث عبر اتصالات القائد العام بالفرق الموزعة في المدينة، بينما تركز العديد من الجنود قرب بوابات القصر بتحفز خشية استهداف القصر من قبل الثوار..

وفي جانب من المدينة، وسط حيّ لا يبعد كثيراً عن أسوار القصر المحمية بتشدّد، اختبأت فرقة من الثوار مع الرئيس وبي ناريا وجوين متلفعين بمعاطفهم ذات غطاء الرأس الذي يخفون به وجوههم.. ظلوا رابضين في مواقعهم بصمت وهم ينتظرون بصبر والرئيس ينظر للخارطة في يده بين فينة وأخرى يطابق بينها وبين المنطقة المحيطة بهم ليتأكد من موقعهم بالضبط.. وبعد فترة، طالت أو قصرت، رأوا عدداً من المركبات تتوسطها مركبة مميزة بلونها تخرج من بوابة القصر مسرعة وهي محملة بالجنود.. فهمست جوين مشيرة للمركبة المتوسطة “هذه هي مركبة القائد العام للجنود..”

علق الرئيس “يبدو أنه خرج للإشراف على القتال الدائر في أنحاء المدينة بنفسه.. هذا لحسن حظنا..” ثم همس للبقية “لقد حان دورنا.. سيبدأ الاحتفال قرب بوابة القصر البعيدة بعد قليل..” لم يعقب أحدهم بكلمة والرجال يشدون أيديهم على أسلحتهم، فيما ازدادت ضربات قلب بي ناريا وهي ترى قصرها.. موطنها.. البقعة التي شهدت طفولتها وشبابها، تربض أمامها.. كانت تعلم دائماً أنها ستعود.. لم يساورها شك أبداً أنها ستدخل القصر مجدداً، لذلك فقد علتها ابتسامة ظفر وهي ترى هذا وتتخيل ما قد يدور بخلد مانيم لو علم بالأمر..

قطع تفكيرها صوت انفجارات متتالية في الجانب الآخر من القصر أضاءت السماء، تبعها إطلاق رصاص كثيف والجنود عند البوابة المواجهة لهم يتوترون ويتخبطون.. بعضهم يصرخ في جهاز الإرسال وبعضهم الآخر يسارع منسحباً داخل القصر ليتجه إلى حيث اندلع القتال.. عندها قال الرئيس “حان الوقت.. لنستغل الفرصة قبل أن تصل الإمدادات.. كونوا على مقربة مني لكن ليتحرك كل اثنان منكم معاً.. دخولنا كجماعة واحدة سيجذب الانتباه..”

هزوا رؤوسهم موافقين.. فانطلق الرئيس أولاً مع أحد رجاله متتبّعاً المنازل القريبة التي تخفيه عن أعين الجنود المنشغلين قرب البوابة، ثم تبعته بي ناريا مع رجل آخر، وخلفها جوين وبقية الرجال.. ولما وصلوا آخر منزل مستترين بالظلام البعيد عن أنوار القصر، تبقى أمامهم شارع واسع يفصلهم عن القناة المائية التي تحيط بالقصر كاملاً، ولا يقطعها إلا جسر واحد عند كل بوابة من بوابات القصر..

كانت أنوار أبراج القصر القريبة تلقي ضوءها المتحرك على كل المناطق القريبة من القناة والشارع المحيط بها.. فاستغل الرئيس اللحظة التي يعم فيها الظلام الشارع أمامه لينطلق مع رجله عابراً المسافة التي تفصلهم عن القناة ليحتمي بالسور الحجري الذي يعزل القناة عن الشارع.. وبعد أن غمر الضوء المكان في دورته وعاد الظلام من جديد أشار لرجاله بالتقدم.. فتقدمت بي ناريا مع الرجل الآخر بأسرع ما تستطيع وهي تتعجب من كون هذا الشارع الذي بدا عادياً مرت قربه آلاف المرات من قبل، قد غدا كأنه ساحة قتال خطيرة ومساحته شاسعة بحيث ظنت أنها لن تقدر على اجتيازه أبداً قبل عودة الضوء.. وما كادت ترمي نفسها قرب السور الحجري لاهثة الأنفاس حتى غمر الضوء المكان من جديد وهي تنظر للشارع الذي أصبح مكشوفاً بالكامل.. لو تأخرت ثوانٍ معدودة لكشف أمرهم تماماً وضاعت جهودهم أدراج الرياح..

تتابع الرجال الباقين على دفعات والرئيس يراقب الأبراج القريبة من القناة من خلفهم بصمت.. ولما اجتمعوا جميعهم قربه، همس لهم "الآن كونوا أكثر حذراً.. فور اجتيازنا هذا السور سنكون مكشوفين حتى نصل إلى مدخل الممر السري.. لذلك سنبقى على تشكيلنا السابق ولن يغادر أي فريق قبل أن يتأكد من وصول الفريق الآخر إلى المدخل.."

كالعادة جاوبه الصمت فيما التمعت الأعين بعزم الرجال على إطاعته لأقصى حد.. وبعد مرور الضوء في دورته المعتادة، هبّ الرئيس واقفاً وقفز بنشاط رغم عمره فوق السور الحديدي مع أحد الرجال ليهبط في الجانب الآخر الذي يقل ارتفاعه عن الشارع بشيء قليل، وسار راكضاً بظهر محني عبر الشارع الضيق الذي يفصل السور عن القناة حتى وصل أسفل الجسر المؤدي لبوابة القصر، بعد أن تأكد أنه بعيد عن أعين الجنود الذين بقوا قرب البوابة..

تتابع بقية الرجال متتبعين خطواته بين مرور الضوء واختفائه.. فيما كان صوت القتال الدائر في الجانب الآخر من القصر يزداد حدة وعلواً مما جعل بي ناريا تغمغم "أرجو ألا يتحمس رجالك فيحرقوا القصر كله.."

علق الرئيس "لديهم أوامر محددة عن المدى الذي يمكنهم اتخاذه في القتال.. فلا تقلقي.."

ونظر إلى الأبراج القريبة منهم متأكداً أن ضوء كشافاتهم لا يصل تحت الجسر، ثم همس لرجاله "لننطلق.."

بدؤوا في النزول في مياة القناة المثلجة بهدوء ودون إصدار صوت، وانطلقوا يسبحون نحو الجانب الآخر من القناة لا يظهر منهم إلا رؤوسهم.. ورغم البرودة الشديدة، إلا أن بي ناريا لم تتفوه بكلمة وهي تلاحظ أن القناة ليس بها تيارات قوية قد تتعبهم أو تدفعهم بعيداً عن الظل الذي يلقيه الجسر على المياه تحته والكشافات قرب البوابة تنيره من الأعلى بشكل كامل..

نظرت بي ناريا إلى جوين التي كانت غير ماهرة بالسباحة تماماً والتي استعانت بأحد الرجال حتى لا تغرق في مياه القناة العميقة، ثم عادت تنظر للضفة التي اقتربت منهم كثيراً.. ولما وصلتها وجدت أحد الرجال يجذبها من يدها ليساعدها في الخروج من المياه، ثم يتركها لمساعدة جوين التي وصلت بعدها بقليل.. نفضت بي ناريا المياه عنها وتبعث الرئيس إلى الحائط الذي يقع أسفل الجسر والذي بدا عادياً لا فرق بينه وبين سائر السور الشاهق للقصر شيء.. نظر الرئيس إلى الحائط مغمغماً "هذا هو المكان.. هل تعرفين كيف تفتحين البوابة؟"

لم تعلق بي ناريا بكلمة وهي ترى العمودين المزينين للحائط مستغربة أنه لم يثر تعجب أحد لغرابة موقعه.. ثم مدت يدها واستخرجت القلادة من حول عنقها فلوحت بها أمام العمود الأول دون أن تجد نتيجة، ثم اتجهت للعمود الآخر.. وبعد ثوانٍ رأت النور الخافت الذي دلّ على استجابة الجدار للمفتاح.. ورأى الثوار الجدار بين العمودين ينزاح جانباً ليتسع لدخول شخص واحد، فأشار الرئيس لرجاله بأن يسرعوا بالدخول.. دخل الثوار شخصاً شخصاً في كل مرة يتبعهم رئيسهم.. فيما توقفت بي ناريا قبل دخول الممر ناظرة خلفها بصمت، عندها همست جوين "لا تخافي يا مولاتي.. سيلحق بك هارولان قريباً.. أنا واثقة أن لا شيء سيردعه عن المجيء.."

غمغت بي ناريا "لست أدري إن كان يجب أن أسعد بهذا الخبر أم أقلق.. إنه يسعى خلف عنقي.."
ابتسمت جوين معلقة "محال.. لن يؤذي هارولان شعرة من رأسك.. لو كان فاعلاً لما كان الأسبق للحاق بالجندي الذي اختطفك في الغابة.. وأنت أعلم مني بهذا"

صمتت بي ناريا بدون تعليق متأمة القناة المظلمة والشارع خلفها، ثم اندست مع جوين في الممر الضيق مغلقة الباب الحجري خلفها وهي تسير خلف الثوار في الممر المظلم الرطب الذي لا ينيره إلا مصابيح أشعلها الثوار.. الآن، يمكنها أن تقول إن الساعات الأخيرة لصراعها مع مانيم قد بدأت.. وفي هذه الساعات سيتحدد مصيرها ومصير المملكة كلها.. للأحسن أو للأسوأ..

قال هارولان بصرامة "هل أنت واثق مما عليك فعله؟"

اعترى التغير وجه مدير محطة البث العامة وهو يقول بصوت متحشرج "أجل.. لكن هل تعلمون ما نتائج أفعالكم هذه؟"

قال هارولان "لم نطلب رأيك يا هذا.. الإرسال يجب أن يبدأ خلال ربع ساعة.. وسيتم كل شيء كما اتفقنا عليه وإلا لن أردع رجالي عن أذيتك"

جفف المدير عرقه الغزير وهو يغمغم "حسناً.. لا داعي لكل هذا التهديد.. سأفعل ما تأمرونني به حرفياً.. لكن إن سَلِمْتُ من رجالك فلن أسلم من غضبة الملك.."

ونفض حاملاً الأوراق التي خطط فيها النقاط الأساسية التي ينوي بثها بعد قليل، واتخذ مجلسه أمام العدسات التي تبث عن طريق محطته المركزية.. نظر في ساعته بقلق وجفف عرقه مرة أخرى مغمغماً "أنا جاهز.."
أشار هارولان للرجال المسؤولين عن تسجيل الحديث وبثه بعدها إلى الشاشات العامة في كل المدن الرئيسية التي تتبع الملك.. فبدأوا عملهم والأسلحة موجهة لظهورهم تهديداً لهم عن التلاعب بالخطة الموضوعية..

كانت الخطة تقضي أن يتم تسجيل كل الحديث وإذاعته بعدها بربع ساعة، وإيهام الجميع أنه بث مباشر، ضماناً لئلا يتدخل جنود مانيم ويفسدوا المخطط قبل بث الرسالة كاملة.. وعند الإشارة، تتحنج المدير لثوانٍ قبل

أن يقول بصوت متحشرج "إلى العالم كله، إلى سكان الأقاليم التسع وثلاثون المكونة لكوكبنا المجيد.. أعلن لكم بدء الثورة ضد الملكية المركزية في يناسًا.. اليوم، وفي هذه اللحظة، يقاتل ثوار هيمانيا ضد مانيم الظالم القاتل.. و....."

مال تيمين على هارولان معلقاً بهمس "الرجل متردد وغير مقنع.. عيناه تصرخان أن كل هذا كذب وخداع.. كيف تتوقع نجاح هذه الخطة؟"

لم يعلق هارولان وهو ينظر إلى المدير بشيء من الحق.. كان يودّ الانتهاء من عمله هنا لينضم إلى البقية في القصر.. يودّ أن تجري الساعات بسرعة حتى تقف في اللحظة التي تهوي فيها جثة مانيم عند قدميه.. يودّ أن يرتاح من الذكريات التي تثقل صدره وتقضّ لياليه منذ تلك الليلة.. والذي يحدث هنا هو مجرد تأخير لتحقيق هدفه، وهو مما لا يطيق..

بعد لحظات من الصمت، ناول هارولان سلاحه ليمين، وتقدم من المدير مشيراً للرجال بالألا يوقفوا التصوير، ف ضرب الطاولة بيديه بشكل أفزع المدير وجعله يبتلع لسانه، وقال مواجهاً العدسات بصوت عالٍ وواثق "هذا ليس حديثاً رسمياً.. وليس خطة استراتيجية.. هذا حديث من القلب من ثوار هيمانيا التي عانت ظلماً وجوراً لسنين طوال، في حكم مانيم وقبله في حكم الملك السابق.. هيمانيا التي مُنعت أبسط حقوقها، وهو الشكوى، والتي لازالت تعيش في أحوالٍ متدنية وظروف معيشية قاسية، والسبب هو في وجود بضع مناجم ضخمة للبلور، وهو المادة الرئيسية التي يعيش عليها كوكبنا.."

ظل الجميع يستمعون إليه بدهشة وصمت وهو يضيف "الثورة قائمة والنصر سيكون حليفنا.. لكننا لا نبغي استرداد حقوق هيمانيا فقط.. بل ندافع عن كل مظلوم مغبون حقه في هذا الكوكب.. كم من مدينة وجدت أنها مجرد آلة لتوريد البلور للعاصمة؟ كم من شخص قضى نحبه في العمل في المناجم؟ كم من عائلة منعت حقوقها الأساسية في عيش كريم لينعم بها السادة في يناسًا؟ أما أن أوان كل هذا أن ينتهي؟ أما أن للناس أن يحصلوا على حقوقهم دون استجداء؟ هذا هو ما نطالب به، وما نسعى لتحقيقه.. هذا ما يموت رجالنا الآن بالذات، لتنعموا به أنتم غداً.."

وشدّ جسده قائلاً وقد تزايد حماسه "كل ما نطالب به هو إلغاء الملكية المتفردة.. لماذا تبقى مصائرنا معلقة بمزاج شخص واحد، قد ينهض من نومه بمزاج متعكر، ليزيق بضعة آلاف من البشر الويل بقرار متعسف؟ من الرقيب على قراراته وأهوائه؟ ومن الذي يجروّ على محاسبته؟ لأي شيء نصّب نفسه ملكاً ومتملكاً هذا الكوكب كله؟ حتى أموال الملك كلها لا تكفي لشراء إقليم واحد من أقاليم هذا الكوكب، فكيف يزعم أنه مالك للكوكب كله؟ إن كان أجدادنا قد سلّموا أنفسهم وقيادهم لرجل واحد، فلا شيء يلزمنا بفعل الشيء ذاته.. لاشي يلزمنا بالانصياع لحكم ظالم.."

وضرب الطاولة من جديد بيده صائحاً "نحن لا نسعى لنشر الفوضى كما زعم مانيم.. ولسنا قتلة متعطشين للدماء.. ليس هدفنا انشقاق هيمانيا ولا نتمنى أن تعمّ الفوضى كوكبنا الهادي.. كل ما نطالب به هو إنشاء مجلس للحكم تكون قراراته فوق قرارات الملك.. نريد عنق مانيم، وهو الذي قتل ويتمّ الآلاف من الهيمانين دون

رادع ودون رحمة.. بعدها يمكن للعالم كله انتخاب ملك واحد نرجو أن يكون عادلاً ويتعظ من كل ما يحدث الآن.. ونريد إنشاء مجلس للحكم، يضم رجالاً مختاراً من كل إقليم من الأقاليم التسع وثلاثون، هدفه تحقيق العدل والمساواة بين الأقاليم، وتقييم الملك وقراراته، ومنع الظلم والتعسف الناجم من استفراد شخص واحد بالحكم.. عندها، يمكنني وبكل ثقة القول بأن العدل سيسود كوكبنا، وسيخشى الملك، أي ملك، من ظلم أحد بجرّة قلم.."

صمت قليلاً والمدير جواره ينظر له بدهشة ممزوجة بذعر خوفاً مما قد يلاقيه من جزاء على يد مانيم، ثم أضاف هارولان "كل ما نريده هو أن نأمن على صغارنا من أن يواجهوا ظملاً كالذي واجهناه.. ليس أقسى على النفس من أن ندفن رؤوسنا بين أرجلنا ونحن نعلم أن ما سيواجهه أبنائنا قد يكون أقسى وأشدّ.. لنتخذ الخطوة الحاسمة الآن، ولندع أبناءنا ينعموا بحياة أكثر أمناً وعدلاً.."

وغادر الموقع بعد أن أنهى جملته تاركاً الجميع في صمت تام.. وبإشارة من يده تم إيقاف التسجيل، والجميع يسارعون لتأدية مهامهم استعداداً لبث الإرسال إلى العالم كله.. بدا أن حديث هارولان قد رفع الخوف والقلق من صدورهم ورفع شبح خيانة الملك من كواهلهم..

أما تيمين فقد تلقى هارولان بابتسامة وهو يناوله سلاحه قائلاً "لم أعلم أنك تتمتع بميزة الإقناع.. تبدت حولك هالة من الإبهار أثارت إعجابي شخصياً.."

قال هارولان بدون تأثر بمزاحه "أنهيت مهمتي هنا، وفور أن يبدأ البث، سأترك لك كل شيء هنا وسأغادر.. فلا تخيب ظني بك.. سيثور مانيم ما إن يرى هذا وسيحاول منعه بكل قوة.."

قال تيمين "لا تقلق، يمكنني إكمال العمل الرائع الذي قمت به.. أنت لديك قضية أهم تنهينا فلا تشغل بالك بنا.."

وربت على كتفه مضيقاً "أتمنى ألا يسقط مانيم إلا على يديك.."

زفر هارولان وقلقه يتزايد.. الوقت يمر، وكل ثانية يقضيها هنا تبعده عن أمنيته أميلاً عديدة.. وتثقل كاهله أكثر فأكثر..

بعد مسير طويل في الممرات التي تنتشعب في أرجاء القصر كله، توقف الرئيس في مساحة واسعة قليلاً قائلاً لبي ناريا "الأمر أمرك الآن.. نفذت وعدي بإيصالك إلى القصر، والآن يجب أن تنفذي وعدك بتسليمنا خرائط الممرات السرية كلها.."

قالت بي ناريا "سأجلبها لكم.. لكن لن يلحق بي أحدكم أبداً.."

قال أحد الرجال بغيظ "ما هذا الهراء.."

أوقفه الرئيس وهو يقول لبي ناريا مقطباً "والسبب؟"

قالت بي ناريا بثبات غير عابئة بنظرات الغضب التي أحاطت بها "لا أريدكم أن تعلموا بموقعها الحقيقي.. وهي عند شخص يهمني أمره ولا أريد أن يصاب بضرر.. أنا وعدتكم وعد ملكة بأني سأسلمها لكم.. انتظروني هنا وسأعود بأسرع ما أستطيع.."

تعالى همهمات ساخطة من الرجال والرئيس ينظر في عيني بي ناريا الثابتتين وكأنه يحاول قراءة دواخلها، ثم قال "حسناً.. سننتظر هنا.."

هتف أحد الرجال "ماذا؟ هل ستخدعك بهذه السهولة أيها الرئيس؟"

قال الرئيس بصرامة "لم يخدعني أحد.. سننتظر جميعاً بصمت.. لكنني أمهلك أقل من نصف ساعة وأعتقد هي كافية.."

هزت بي ناريا رأسها إيجاباً، ثم استدارت وجوين تلحقها ملقية نظرة على الثوار الغاضبين خلفها، فيما جلس الرئيس في جانب المكان بصمت وأحد الرجال يقول له "هذا عمل سنندم عليه.. بي ناريا أثبتت طوال بقائها معنا أنها لا تعبأ بأحد غير ذاتها.."

قال الرئيس بدون أن يبدو القلق على وجهه "ستثبت لنا الدقائق القادمة صحة ظني أم خطؤه.."

صمت الرجال رغم حنقهم وهم غير قادرين على مجادلته في الأمر..

في اللحظة الموعودة، فوجيء العالم كله بانقطاع البث العادي من الشاشات المنثورة في الساحات الرئيسية لكل مدن العالم، ليظهر عليها بيان ثوار هيمانيا.. بدا أن الزمن توقف في العالم كله والجميع يستمعون للبيان بدهشة مذهولة.. فمع التعظيم الذي فرضه مانيم لما يحدث في يناسا، كان الكل جاهلاً لتقدم الثورة الهيمانية واختراقها يناسا.. وفي القصر، هب مانيم واقفاً وقد اشتد غيظه صارخاً "لماذا لم أعلم بشيء من هذا؟ لو كان الثوار قد أفلحوا بالسيطرة على مركز البث، لماذا لم يكلف أحدهم نفسه لإبلاغني بهذا؟"

قال القائد العام عبر جهاز الاتصال "أغلب جنودنا منشغلون في معارك محدودة مع الثوار في أجزاء مختلفة من المدينة.. تركنا فرقة واحدة فقط لحماية مركز البث، ولم نعلم أن للثوار هدف بالاستيلاء عليها.."

صاح مانيم بغضب "وأنت لازلت تجادلني؟ لماذا لم توقف البث حتى الآن؟ انطلق بعشر فرق وفجروا مركز البث على رؤوسهم.."

قال القائد العام دون اهتمام بصراخ مانيم "الفرق تتقدم إلى المركز بالفعل، وأنا سألحق بهم حالاً.."

وأنهى الاتصال، فهدر مانيم "أين مردين؟ فليمثل أمامي الآن.."

لم تمض لحظات حتى كان مردين يقف أمام مانيم الذي قال بعصبية "خاطب ولاتنا في الأقاليم كلها.. فليقطعوا الإرسال عن شاشات البث في كل المدن.. ليحرقوها تماماً إن لزم الأمر.. أهم شيء هو أن لا يستمر بث هذه الرسالة الوقحة.."

انطلق مردين لتنفيذ أمره دون إبطاء.. في نفس اللحظة التي أحاط فيها الجنود بمركز البث إحاطة تامة.. وعند

تلقي الإشارة، اندفعوا متتابعين ليقترحموا مبنيي المركز في تزامن مدهش وهم يفتشون قاعاته وغرفه العديدة.. لكن لم تمض دقائق حتى تلقى القائد العام اتصالاً من قائد إحدى الفرق الذي قال "سيدي.. المبنى خال تماماً.."

صمت القائد بدهشة لثوانٍ، ثم قال "والمبنى الآخر؟"

أجابه "خال هو أيضاً.."

فقال القائد "ابحثوا جيداً.. وليتبع مهندس الاتصالات البث ليعرف من أين يتم إرساله.. أنا قادم حالاً.."

أما تيمين، والذي وقف يراقب البث المستمر، وصله اتصال من أحد رجاله يقول "الجند يفتشون مبنى مركز البث.. ويبدو أنهم سيحاولون تتبع البث للوصول إلينا"

علق تيمين "لا تترك موقعك وأبلغني بأخبارهم أولاً بأول.."

وأنهى الاتصال قائلاً لرجاله "علينا إخلاء المكان سريعاً.. سيصل الجنود إلينا قريباً"

قال أحد الرجال "كيف سيستدلون على موقعنا؟ لقد بذلنا جهداً في نقل المعدات اللازمة للبث ونقل العاملين في المركز إلى هذا المخبأ، فكيف نتنازل عن كل هذا الآن؟"

أجاب تيمين "هذه هي الأوامر.. لقد تمكنا من نشر رسالتنا عدة مرات والفكرة قد وصلت للجميع.. لن يقدر مانيم على تغطية الأحداث التي تجري في يناساً ولن يستغفل العالم بعد الآن.. أهم شيء هو أن نضمن سلامة رجالنا.."

في تلك الأثناء، كان القائد العام يتأمل مبنى مركز البث الرئيسي ملاحظاً أن العديد من الأجهزة قد اختفت من موقعها، والفوضى تعم المكان.. وعندما اقترب منه أحد مهندسي الاتصالات بالجيش حاملاً جهازاً صغيراً يعرض عدة بيانات مختلفة، سأله القائد "حدد لي موقعها بدقة وسرعة.. يجب أن نوقف البث الآن.."

قال المهندس "سأفعل.. لكن هل لي بتعليق؟"

نظر القائد إليه بتساؤل، فقال المهندس "لقد استولى الثوار على بعض الأجهزة اللازمة للتصوير والبث، لكنهم لا يستطيعون بث رسالتهم إلى الأقاليم المختلفة إلا عن طريق برج الإرسال الرئيسي الموجود هنا.. فهو الوحيد القادر على بث الإرسال إلى شاشاتنا الرئيسية في العالم كله.. لذلك يمكن بتعطيله أن نوقف الإرسال حالاً حتى يتمكن جنودنا من الوصول إلى موقع الثوار"

فقال القائد "حسناً.. حدد لي موقع البث بدقة، ثم اعمل على تعطيل برج الإرسال سريعاً.. وإن لم تفلح فعلى الأقل قم بتدميره تماماً.."

سارع المهندس لتحديد موقع البث الجديد، في نفس اللحظة التي كان فيها تيمين يتأكد من إخلاء الموقع من الثوار ومن طاقم البث الذي غادر خوفاً من بطش مانيم بهم.. نظر تيمين إلى الأجهزة التي تم تركيبها بعجلة لتكوين محطة بث مؤقتة في إحدى مركبات البث الخاصة بالمركز الإعلامي، ثم حمل سلاحه وغادر مع رجاله تاركاً الأجهزة تهدر ناقلة رسالتهم إلى العالم.. تلك الرسالة التي تأخرت سبع سنين على الأقل..

صرخ مانيم في جهاز الإرسال مخاطباً القائد العام للجند عندما وصله آخر تقرير للمعارك الدائرة في المدينة "وما الذي تفعله أنت؟ الهجوم يعمّ المدينة كلها.. كم هيمانياً تسلل إلى المدينة تحت أنفك دون أن تعلم؟" قال القائد العام بضيق "أنا أنفذ أوامرك يا مولاي.. نحن نبذل جهدنا بالفعل.. وجنودنا لا يكادون يلتقطون أنفاسهم حتى نفاجأ بهجوم جديد من الثوار.."

صاح مانيم بحلق "والبث.. هل أوقفته بالفعل؟ أتمنى أن تكون قد تمكنت من القبض على بعض الثوار في مركز البث.."

قال القائد "لقد أوقفناه بالفعل، عبر تعطيل برج البث.. لكن الثوار لم يكونوا يبثون رسالتهم من مبنى الإرسال، بل سرقوا بضع أجهزة من المبنى وكونوا محطة إرسال مؤقتة.."

صاح مانيم "أين؟ ومن ساعدهم؟"

قال القائد وهو ينظر إلى الساحة حوله "لقد استخدموا إحدى مركبات المحطة وحولوها إلى محطة مؤقتة.. وكانوا يتمركزون في الجانب الشرقي للمدينة بعيداً عن محطة الإرسال الرئيسية.. حددنا موقعهم وداهمنا المركبة لنفاجأ بها خالية تماماً.. يبدو أنهم تركوا عيناً تراقب ما يحدث في المحطة الرئيسية لتبلغهم بتحركاتنا وتندبرهم عن قدمنا.."

فقال مانيم بغضب "إذن فشلت في الإمساك بأحدهم؟ تتبع آثارهم.. لا تعد قبل أن تأتني ببعض الثوار أسرى.. أريد استجوابهم ومعرفة مخابهم الرئيسي.. بي ناريا ولا بد مختبئة هناك وأريد الإمساك بها بأي طريقة.."

أنهى القائد الاتصال وقال لجنوده "فتشوا الساحة وما يحيط بها من منازل وأزقة ومخابي.. استجوبوا السكان بحزم فلا بد أنهم شهدوا ما جرى هنا.. يجب أن نتبع آثار هؤلاء الشرذمة حتى نقضي عليهم، وإلا واجهنا غضبة الملك وهو في أتعس حالاته اليوم.."

انطلق رجاله لتنفيذ أمره فيما أخذ القائد يتصل بقائد إحدى الكتائب التي انهمكت بقتال فرقة أخرى من الثوار عند جانب آخر للمدينة.. يستعلم عن سير القتال هناك ويلقي بأوامره الجديدة، وكل هذه الأحداث تزيد من عصبيته وتوتره شاعراً أن زمام الأمور قد يفلت منهم في أية لحظة..

عبرت بي ناريا عدة ممرات خلف جوين مغممة "أنت واثقة من الطريق؟ تبدو الممرات متشابهة بالنسبة لي.."

قالت جوين "لا تخشي شيئاً مولاتي.. لن أخطيء في الطريق بالتأكيد.. لقد حفظته عن ظهر قلب.."

علقت بي ناريا "أخشى أن نجد أنفسنا في جناح مانيم دون أن ندري.."

ابتسمت جوين دون أن ترد، واستمرت بالسير لفترة طالت.. كانت كل الممرات مظلمة إلا من النور الذي تحمله جوين، والذي ينير الممرات التي تبدو قديمة مع قلة العناية بها، حيث يغطي الطحلب أجزاء منها والغبار يحوي نقوشها البارزة.. توقفت جوين عند جانب أحد تلك النقوش، وفتحت الباب السري بنفس الطريقة المعتادة،

فهمست بي ناريا "أأنت متأكدة من خلو الجناح من أحد سوى الملكة الأم؟ لا أريد أن يفاجئنا الجنود.." قالت جوين "لقد منع الملك دخول أحد إلى جناح مولاتي سواي.. حتى الأطباء والمستشار قد منعوا من الدخول.. أنا الوحيدة التي أوكل إلي أمر خدمتها.. لذلك من المستحيل أن نجد أحداً في الجناح في أي وقت" وأشارت لبي ناريا أن تبقى في موقعها فيما دلفت هي إلى الجناح بهدوء.. ظلت بي ناريا في موقعها وحقدتها يتزايد على مانيم.. ما الذي فعلته له الملكة الأم ليعاملها بهذه القسوة؟ ألم يكفه كل ما فعله ليستولي على العرش حتى يذيق الملكة الأم كل هذا العذاب؟..

سمعت جوين تناديهما بخفوت، فدلفت بخطوات خفيفة إلى الجناح شبه المظلم، وتقدمت من فراش الملكة لترأها على الضوء الخافت بحال صعقتها.. الشحوب، الهزال، والرجفة في جسدها كلها أشياء لا تدل على أمر حسن.. جلست قرب الفراش وأمسكت يد الملكة الهزيلة هامسة "أماه.." فتحت الملكة الأم عيناها بدهشة متطلعة إلى بي ناريا بعدم فهم، ثم همست بصوت مرتجف "بي ناريا؟ أحقاً هذه أنت؟"

قالت بي ناريا وغصة تملأ حلقها "أجل.. عدت أخيراً.." اغرورقت عينا الملكة الأم بالدموع وهي تقول "هذه أول مرة أسمعك تنادينني بأماه.. لطالما تمنيت سماعها من قبل، لكني الآن سعيدة.."

قالت بي ناريا "ما الذي تقولينه يا أماه؟.. أنت أُمي ولا أم لي سواك.. لقد عاملتك بقسوة في السابق، لكن ليس كرهاً، بل أعماني العرش والآمال التي ملأ أبي بها عقلي عن أي شيء آخر.." غمغمت الملكة الأم "الآن تغمرني الراحة برويتك سالمة.. أرجو ألا تكوني قد كرهتني لما قاسيته في هيمايا.. أشعر بنهايتي قريبة، ولا أريد أن أرحل وفي قلبك غضب علي"

قالت بي ناريا بشيء من القلق "لم هذا التشاؤم؟ أنت بخير، وسيتحسن حالك قريباً.. اصبري واستعيدي قواك بسرعة لتشهدي نصري على مانيم الوغد.."

قالت الملكة الأم متوسلة "أرجوك يا ابنتي.. اتركي أمر مانيم.. لا أريدك أن تسقطي في براثنه من جديد.. لقد أقسم على قتلك فور قبضه عليك، وهذا أكثر ما أخافه في الدنيا.." ربت بي ناريا على يدها قائلة "لا تقلقي.. لن أعرض نفسي للخطر.. ارتاحي الآن وأنا لن أغيب طويلاً.." ونهضت مبتعدة وهي تقول لجوين بهمس "أين المخططات؟"

دلتها جوين على مخططات الممرات السرية، فتناولتها بي ناريا وتفحصتها بكثب قبل أن تقول "يجب أن لا نفرط في النسخ الأصلية أبداً.. أين يمكنني نسخها دون أن يكشفنا أحد؟"

سارعت جوين لاستظهار نسخ من المخططات قائلة "لقد تمكنت في غفلة من الجميع من نسخ المخططات بمساعدة المستشار.. كما قمت بتحذيره عما سيجري اليوم.."

أمسكت بي ناريا النسخ قائلة بابتسامة مندهشة "لقد فاجأتني يا فتاة.."

ثم نظرت باتجاه الملكة التي تراقبهما بعينين صامتين مضيئة "ابقي مع الملكة حتى عودتي.. سيبدأ كل شيء

ما إن أسلم هذه المخططات للثوار، وعلينا الحذر في هذه الأثناء حتى يتم القضاء على مانيم..".
واسرعت تعود من حيث أتت عبر الممر السري، فيما جلست جوين قرب فراش الملكة الأم وقلقها يتزايد مما قد يحدث، هنا في القصر وهناك في المدينة..

في منطقة متوسطة من الممرات السرية، جلس رئيس الثوار محاطاً برجاله ينتظر قدوم بي ناريا.. لم يكن قد مرّ وقت طويل على مغادرتها عندما تساءل أحد الرجال بهمس "وماذا لو كانت تخدعنا؟ قد تهرب وتتركنا هنا حتى نسقط في يد مانيم..".

قال الرئيس بهدوء "لن تفعل.. أنا أثق بها..".

قال الرجل مقطباً "كيف يمكنك ذلك؟ بعد كل ما فعلته، وبعد كل التكبر الذي لم يكسره شيء تثق بها؟"

قال الرئيس بصوت أعلى ليسكته "إن خانتنا فأنا سأتحمل مسؤولية ذلك..".

تهامس الرجال وشيء من الضيق يتسرب إلى نفوسهم، لكن الرئيس لم يعلق بكلمة أخرى وهو يستسلم لأفكاره ويحاول ترتيب الخطة التي ناقشها مسبقاً في عقله.. بعد لحظات، سمعوا خطوات راكضة في جانب يخالف الذي اختفت عنده بي ناريا، فتطلع الجميع إلى تلك الجهة بتحفز وهم لا يرون أي مصدر للإضاءة قادم تجاههم.. لكن سرعان ما تبين لهم وجه القادم عندما ألقت مصابيحهم ضوءها عليه، فقطب الرئيس وهو يقول بغير تصديق "هارولان؟ ما الذي تفعله هنا؟"

اقترب هارولان منهم وهو يحاول التقاط أنفاسه، فعاد الرئيس يسأله بحدة "ما الذي جاء بك هنا؟ لقد أسندت إليك مهمة رئيسية، فهل تخليت عنها لتلحق بنا؟"

شدّ هارولان جسده مجيباً بحسم "بل أتيت بعد أن أنجزت مهمتي.. رسالتنا تبث الآن لجهات الكوكب كلها، ولن تتوقف حتى يعثر الجنود على محطة الإرسال المؤقتة التي صنعناها.. ولقد تركت تيمين ليتولى أمر الرجال ويتأكد من هروبهم قبل ذلك..".

قال الرئيس والضيق لم يزايله "الكني أكدت لك أنني غير راضٍ عن قدومك للقصر..".

أجاب هارولان دون أن يبدو عليه أي ضيق "وأنت تعلم أنني لا يمكن أن أتنازل عما جئت لأجله.. يمكنك أن تقتلني هنا الآن، لكن لا تطلب مني المغادرة دون أن أقتل مانيم بيدي هاتين..".

صمت الرئيس وهو ينظر إلى هارولان الذي ثبت في مكانه والتصميم في وجهه، ثم تنهد الرئيس مغمماً "عنيد جداً.. فلتمض هذه الليلة على خير...".

ثم ضيق عينيه متسائلاً "مهلاً، كيف عرفت موقع المدخل؟ بل كيف تمكنت من فتحه دون القلادة التي تملكها بي ناريا؟"

رفع هارولان يده القابضة على قلادة صغيرة مغمماً "أتقصد هذه؟"

تطلع الرئيس وبقيّة الرجال إلى نسخة مطابقة من القلادة التي تحملها بي ناريا، ثم ضحك الرئيس بشكل تعجب له هارولان وهو يقول "فعلاً.. كل التروس قد وضعت في مواقعها الصحيحة، وما بقي إلا القليل لتدور العجلة.. يبدو أنه مقدر لك أن تكون هنا وأن تكتب تاريخ المملكة بنفسك.."

زاد تعجب هارولان من حديث الرئيس، لكنه لم يعلق وهو يناوله القلادة فتقبلها الرئيس صامتاً.. عندما سمعوا أحد الرجال يقول "شخص آخر قادم إلينا.."

التفتوا ليروا نوراً يقترب منهم، وسرعان ما تبينوا بي ناريا التي حملت عدة مخططات في يد، ومصباحاً في اليد الأخرى.. تقدمت منهم حتى أصبحت في مواجهتهم، وهي تنظر إلى هارولان الذي لم تره قبل ذلك بابتسامة، ثم تقدمت من الرئيس مباشرة قائلة "هذا هو ما وعدتك به.. خرائط الممرات السرية الخاصة بالقصر.. طبعاً هذه هي نسخة عن الخرائط الأصلية، فلا يمكن التفريط في الأصل أبداً.."

وأشارت إلى بقعة فيها "نحن هنا.. وأنتم تعرفون أجزاء القصر كله لذلك ليس من داعٍ لأن أشرحها من جديد" هز الرئيس رأسه قائلاً "هذا رائع.. خطتنا الآن ستغدو أسهل بكثير"

ثم رفع رأسه متسائلاً "والمفتاح؟ لا نملك إلا واحداً وهو الذي أحضره هارولان، لكنه لا يكفي لمخططنا.. فهل تملكين مفاتيح أخرى؟"

قالت هازة رأسها نفيّاً "لا أملك إلا الآخر، ولن أفرط فيه فأنا بحاجة إليه أيضاً.. لكن الأبواب يمكن فتحها من الداخل بدون مفتاح، إذ ستجد نتوءاً بارزاً قرب كل باب بالضغط عليه يمكنك فتحه.. فقط حاذر من ترك الباب دون حراسة والانشغال خارجه إذ لن تجد طريقة للعودة للممر.."

قطب الرئيس معلقاً "هذه مخاطرة، إذ سنكتشف عندها بسهولة.."

هزت كتفيها مجيبة "هذا هو السبيل الوحيد.. ولا تحاول تفتيشي فقد تركت القلادة خلفي ولن تجدها أبداً.."

قال الرئيس "حسناً.. لن يوقفنا أمر صغير كهذا.."

فقالت "لقد أوفيت بوعدك لكم.. لكن لي رجاء أخير.. لا تقتربوا من جناح الملكة الأم ولا تضروها بشيء.. وكذلك المستشار الخاص بي.. إنه رجل طيب وساعدني كثيراً، وسيساعدكم قطعاً ضد مانيم"

قال الرئيس "نعدك بهذا.."

اقتربت بي ناريا من هارولان قائلة "لقد انتفت حاجتكم لي.. فهل ستبرّ بعهدك الآن؟"

ظل ينظر لوجهها الهاديء والصراع يبدو جلياً على وجهه، ثم أشاح بوجهه بعيداً بصمت.. فابتسمت قائلة "إذن.. حتى نلتقي.."

واستدارت عائدة من حيث أتت دون أن تلتفت إليهم مرة أخرى وابتسامة شبه سعيدة ترسم على شفثيها.. أما الرئيس فقد ربت على كتف هارولان وهو يقول لرجاله "الآن سننفذ مخططنا دون إبطاء.. سندرس هذه المخططات جيداً، وسنبداً هجومنا مع انتصاف الليل.. فاستعدوا يا رجال.."
